



لطالما استوقفتني هذه الآية الكريمة كلما مرت بي تلاوتها في كتاب الله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوَّهُ حَقَّ تِلَاقِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} البقرة/121، متسائلا: هل نحن نتلوا كتاب الله تعالى كما أمر الله "حق تلاوته"؟

ويزداد هذا السؤال إلحاحاً مع تضليلي أولاً بهذا الواجب، وازدياد رؤيتي وسماعي لكتير من المسلمين الذين يتلون كتاب الله تعالى، فلا أجده في تلك التلاوة مواصفات "حق التلاوة" التي أمرنا الله بها، خاصة إذا قارناها مع تلك التلاوة التي وردت عن السلف الصالح، أو حتى مع تلاوة العلماء الثقات من العصر الحديث، ومنهم على قيد الحياة، أو أصبحوا في عدد الأئمـات، ومن نسبـهم - ولا نزكي على الله أحداً - أنـهم كانوا يتلون كتاب الله حق تلاوته.

إن حق التلاوة الذي ورد في الآية الكريمة يشمل الكثير من الحقوق، فهناك حق التلاوة الذي يزيد المؤمن إيماناً ويقيناً بعقيدته، وهو ما قاله الحسن البصري في تفسير الآية : "يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشبهه، يكـلـونـ ما أـشـكـلـ عـلـيـهـمـ إلى عـالـمـهـ". تفسير ابن كثير 1/404

وهل ما ذكره الحسن البصري من العمل بالمحكم والإيمان بالمتشبه مع وكل ما أشكل منه إلى عالمه ..... إلا أبرز سمات ومعالم عقيدة أهل السنة والجماعة، والتي تختلف بشكل كبير عن عقيدة المتكلمين وأصحاب البدع .

والحقيقة أن هذا الحق من حقوق تلاوة كتاب الله تعالى لا يدانـهـ حقـ، خاصةـ فيـ هذاـ الزـمـنـ الذيـ تـكاـثـرـ فيـهـ التـيـارـاتـ الفكرـيةـ وـالـفـلـسـفـيـةـ الـتـيـ منـ المـمـكـنـ أنـ تـؤـثـرـ عـلـىـ صـحـةـ عـقـيـدـةـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ، وـهـوـ مـاـ يـسـتـوـجـبـ مـنـهـ العـنـاـيةـ بـهـذاـ الجـانـبـ، مـنـ خـلـالـ العـوـدـةـ إـلـىـ عـقـيـدـةـ السـلـفـ الصـالـحـ الـمـسـتـقـاـةـ مـنـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ رـسـوـلـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـتـلـاوـةـ كـلـامـ اللهـ "ـحقـ تـلـاقـهـ"ـ عـقـدـياـ .

وإذا انتقلنا إلى معنى آخر من معاني "حق تلاوته" الوارد في الآية، ألا وهو معنى التفاعل والحضور أثناء تلاوة كتاب الله، فلا

يُخفي ما لهذا المعنى من أهمية، في زمن ازداد فيه تأثير الجانب المادي على الجانب القلبي والروحي، وأضحت الكثير ممن يتلون كتاب الله من المسلمين، يفتقدون إلى هذه السمة، التي بدونها تكون التلاوة صورية شكلية لا روح فيها ولا حياة .

لقد بَيْنَ لَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى {يَتْلُونَهُ حَقًّا تِلَاقِتُهُ} فَقَالَ : إِذَا مِنْ ذِكْرِ الْجَنَّةِ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَإِذَا مِنْ ذِكْرِ النَّارِ تَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ". تفسير ابن كثير 1/404

وهو معنى يتوافق مع حديث حذيفة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى فكان إذا من بآية رحمة سأله، وإذا من بآية عذاب استجار، وإذا من بآية فيها تنزيه لله سبحانه . صحيح ابن ماجة للألباني برقم 1111

إنها التلاوة التي يستشعر فيها المسلم أن المتكلم فيها رب العالمين وإله الناس أجمعين، فيخشى القلب والجوارح عند ذكر الموت ومواقف لقاء الله تعالى والحساب، فيسأل الله الرحمة والعفو والمغفرة، وتقشعر الأبدان والأعضاء عند ذكر الجحيم والنار، فيستجير بالله من عذابها، وتتأثر العين مع آيات الخوف والرجاء فتدمع، فيكون التفاعل في التلاوة كاملاً شاملًا، بيثن العقل والقلب، والروح والجوارح .

أما المعنى الثالث والرابع لحق تلاوة كتاب الله تعالى، فهو حق تلاوته كما أنزل، وحق التطبيق على أرض الواقع بعد تلقي الأوامر والتواهي الإلهية، ويشير إلى هذا المعنى قول ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير الآية {يَتْلُونَهُ حَقًّا تِلَاقِتُهُ} : والذي نفسي بيده ، إن حق تلاوته أن يُحِلَّ حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأنل منه شيئاً على غير تأويله . تفسير ابن كثير 1/404

1- أما تلاوته كما أنزل فمعناه أن يتلوه دون لحن أو تصحيف أو تحريف، سواء للأحرف أو للحركات والسكنات، ناهيك عن مراعاة أحكام التجويد عند التلاوة، والتي هي واجب عند تلاوة القرآن الكريم، كما يؤكّد ذلك ابن الجوزي رحمه الله بقوله:

والأخذ بالتجويد حتم لازم \*\*\* من لم يوجد القرآن أثم  
لأنه به الإله أنزل \*\*\* وهكذا منه إلينا وصلا

والحقيقة أن الكثير من مسلمي العصر الحديث مقصرُون في هذا الجانب، رغم أن أسبابه ميسورة، وتكليفه لا تتعذر تفريغ بعض الوقت لتصحيح التلاوة على يد حافظ مجاز، أو متقن للتلاوة وإن لم يكن مجازاً .

والمؤسف أن يتجاوز هذا التقصير عامة المسلمين إلى خاصتهم، من الأئمة والخطباء والداعية من يؤمنون الناس في الشعائر الإسلامية كالصلوة وخطبة الجمعة، أو يتصدرون مجالس الدعوة إلى الله في المساجد أو في وسائل الإعلام، فلا تكاد تستطيع حصر الأخطاء التجوية في التلاوة لأحد هؤلاء من كثرتها، اللهم إن لم يصل الأمر إلى الخطأ في الحركات والسكنات، فأين "حق تلاوته" من تلك القراءة؟!

2- وأما فيما يخص "حق تلاوته" عملاً وتطبيقاً، والذي أشار إليه ابن مسعود رضي الله عنه، فهو في الحقيقة غاية المقصود وجوهر وحقيقة المطلوب، وإذا كان إتقان التلاوة تجويداً وترتيلًا من الوسائل والأدوات، فإن العمل والتطبيق من المقاصد والغايات .

وهنا لا يمكن إنكار وجود فجوة كبيرة عند المسلمين بين ما يتلونه من كتاب الله، وبين ما يقومون به من سلوك وممارسات على أرض الواقع، تخالف وتناقض تماماً ما هم يتلون، فالسلوك والعمل لا يتطابقان مع ما يأمر القرآن الكريم أو ينهى .

فبينما يتلو المسلمون في القرآن الكريم الأمر ببر الوالدين في أكثر من آية، قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } الإسراء/23

نرى العقوق الذي يتجاوز كلمة "أف" المنهي عنها في القرآن الكريم بمراحل ... يزداد يوما بعد يوم في صفوف الأبناء .

وبينما يأمر الله تعالى بصلة الرحم وتوزيع الميراث حسب ما أمر الله في كتابه في أكثر من آية من سورة النساء، قال تعالى : {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} النساء/11، ترى الأرحام تتقطع بين المسلمين لأتفه الأسباب، وتحرم النساء من الميراث في كثير من ديار المسلمين، اللهم إن لم يصل الأمر إلى أكل الأخ الكبير حقوق إخوته الصغار من الميراث .

وبينما ينهى القرآن - الذي يتلوه المسلمون - عن الربا وأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} البقرة/278 وقال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُو بِهَا إِلَى الْحُكَمِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَئْتُمْ تَعْلَمُونَ} البقرة/188، لا نرى تجاوياً عملياً مع هذين النهرين ممن يتلون هذه الآيات من المسلمين على أرض الواقع.

إنها بعض المعاني التي يتضمنها قوله تعالى : {يَتَلَوَنَهُ حَقَ تِلَوَتِه}، والتي تستحوذ المسلمين لمزيد من العناية والاهتمام بتلاوة القرآن الكريم، وتدفعهم لنفريغ الوقت والفكر عند إرادة تلاوة كلام الله، ناهيك عن التركيز عقلاً والحضور قلباً والخشوع جوارحاً والبكاء عيناً أثناء التلاوة، لنجد السعادة الحقيقية التي طالما نبحث عن بعضها في الأسباب الدنيوية .

المسلم

المصادر: